مجلة جامعة دمشق للآداب والعلوم الإنسانية

اسم المقال: إشكالية تنظيم العقل للمادة في فلسفة أنكساغوراس
اسم الكاتب: أ.م.د. عدنان ملحم
رابط ثابت: https://political-encyclopedia.org/library/2904
تاريخ الاسترداد: 2025/05/10 03:44 +03

الموسوعة السياسيّة هي مبادرة أكاديمية غير هادفة للربح، تساعد الباحثين والطلاب على الوصول واستخدام وبناء مجموعات أوسع من المحتوى العلمي العربي في مجال علم السياسة واستخدامها في الأرشيف الرقمي الموثوق به لإغناء المحتوى العربي على الإنترنت.
لمزيد من المعلومات حول الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political، يرجى التواصل على info@political-encyclopedia.org

استخدامكم لأرشيف مكتبة الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political يعني موافقتك على شروط وأحكام الاستخدام المتاحة على الموقع https://political-encyclopedia.org/terms-of-use

تم الحصول على هذا المقال من موقع مجلة جامعة دمشق للآداب والعلوم الإنسانية ورفده في مكتبة الموسوعة السياسيّة مستوفياً شروط حقوق الملكية الفكريّة ومتطلبات رخصة المشاع الإبداعي التي ينضوي المقال تحتها.

إشكالية تنظيم العقل للمادة في فلسفة أنكساغوراس

أ. م. د. عدنان ملحم*

الملخص

يحاول هذا البحث تقديم قراءة جديدة لفلسفة أنكساغوراس على أساس إظهار أنّه أول من استطاع في تاريخ الفلسفة اليونانيّة، أن يضع مشكلات فلسفيّة رئيسة شغلت الفلاسفة اللاحقين، مثل: قِدَمُ العالم، وتقسيم الوجود إلى محسوس ومعقول، كما يسعى البحث إلى تقديم قراءة نقديّة لموقف كلّ من أرسطو وأفلاطون لفلسفة أنكساغوراس، وتبيان تأثيرهما السلبيّ في فهم مؤرخي الفلسفة اليونانيّة لفلسفة أنكساغوراس.

* قسم الفلسفة– جامعة دمشق.

The problem of organizing the Mind of the material in Anaxagoras philosophy

Dr. Adnan Melhem*

Abstract

This research attempts to present a new reading of Anaxagoras philosophy on the basis of showing that it was the first in the history of Greek philosophy to pose major philosophical problems that preoccupied later philosophers, such as: the Eternal world, and the division of existence into concrete and reasonable. The research also seeks to provide a critical reading of the positions of Aristotle and Plato of the philosophy of Anaxagoras, and their negative impact on the understanding of historians of Greek philosophy of the philosophy of Anaxagoras.

*Department of Philosophy - Faculty of human sciences and art- Damascus University.

المقدمة:

يهدف هذا البحث إلى إعادة النظر في فلسفة أنكساغوراس في أفق جديد مغاير للقراءات الكلاسيكيّة التي درجَ عليها مؤرخو الفلسفة اليونانيّة بتأثير من أرسطو وأفلاطون اللذين كان لهما آراء سلبيّة تماماً في فلسفة أنكساغوراس، ولم يعترفا له أنّه باكتشافه لـ"النوس" أو "العقل" المنظِّم للعالم قد نقل الفلسفة اليونانيّة من المرحلة الكوزمولوجيّة إلى المرحلة الميتافيزيقيّة، إذ نجد في آراء أرسطو وأفلاطون في هذا الاتجاه تفسيراً قسريّاً لفلسفة أنكساغوراس يحاول إرجاعها إلى المرحلة الكوزمولوجيّة، على الرغم من كون هذه الفلسفة نفسها تُعَدُّ انطلاقة جديدة بكلّ معنى الكلمة.

وعليه، جاء هذا البحث في المحور الأول منه لتوضيح غاية أنكساغوراس من طرح مفهوم "الجزيئات المتجانسة"، بوصفه مفهوماً ذا بُعدٍ منهجيّ يرمي منه إلى تحديد حقيقة العالم المحسوس. وكان المحور الثاني من البحث متوجّهاً إلى كشف أنَّ أنكساغوراس كان أول فيلسوف يونانيّ قال بقِدَم العالم. وكانت غاية المحور الثالث تبيان كيفيّة توظيف أنكساغوراس لمفهوم النوس أو العقل بصفته مفهوماً مؤسساً للميتافيزيقا في بداياتها الأولى. وانتهى البحث إلى جملة من النتائج.

أولاً: مفهوم الجزيئات المتجانسة عند أنكساغوراس:

كان هاجس أنكساغوراسAnaxagoras هو البحث عن تفسير مُقنع لحقيقة وجود الموجودات الماديّة في العالم، بمعنى: أنّه أراد أنْ يُعلّل صيرورة الموجودات المتكثّرة، غير أنّه لم يُعنَ أساساً بالصيرورة الظاهرة؛ وإنّما انصبَّ اهتمامه على صيرورة باطنة أو تغيّر داخليّ، فلم يكن اهتمامه منصبّاً على تحليل عمليّة الكون والفساد، أو تكوّن الموجودات وانحلالها؛ بل كان تساؤله العميق متعلّقاً بالأنماط أو الهيئات أو التعيّنات المتعددة التي تتخذها الموجودات، إذ إنَّ هناك ضروباً متنوّعة من الكائنات، فما الأساس الماديّ الذي يقف وراءها؟

ولم يقتنع أنكساغوراس بآراء الأيونيين ذوي الاتجاه الطبيعيّ، "إذ هو لم يؤمن سواء بأصل واحد أو بأربعة أصول أو عناصر. كما لم يكن عالماً من علماء الذرة"[1].

وهذا يعني أنَّ أنكساغوراس لم يقبل كون ماء طاليس أو هواء أنكسمانس Anaximmenes أو العناصر الأربعة التي قال بها أمباذقليس Empedocles مبادئ للموجودات، أي أنه رفض تحديد أصل معيّن أو أصول معيّنة للموجودات،

[1]–وورنر، ريكس، فلاسفة الإغريق، ترجمة: عبد الحليم سليم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1985، ص:44.

ويُقصد بالمُعيّنة هنا أنها أصول أو عناصر واضحة الهُويّة كالتراب أو الماء إلخ.. أي أنها ذات جوهريّة خاصة بها، على الرغم من أنَّ مسألة جوهريّة العناصر لم تكتمل مع الأيونيين؛ وإنما جاء اكتمالها مع أمباذقليس، إذ إنّ طاليسThales، مثلاً، نظر إلى الماء بصفته المادة النهائيّة الوحيدة التي تقف وراء وجود الموجودات كافةً. "وهذا لا بدَّ أن يتضمن أنَّ النوع الأقصى للمادة يجب أن يكون قادراً على التحوّل إلى أنواع أخرى من المادة"[2].

يقتضي ذلك– وفقاً لتفكير طاليس أنَّ الماء بصفته المادة الرئيسة يمكن أن يتحول أو يستحيل ليصير مواد أخرى، مثل التراب أو الهواء أو النار، كما يمكن أن يتحول إلى جماد أو نبات أو حيوان.

لكن أمباذقليس هو الذي رفض هذا الرأي القاضي بتحوّل عنصر جوهريّ واحد إلى عناصر أخرى واهباً إياها وجودها، لأنه "يؤمن بأنَّ النوع الواحد من المادة لا يمكن أن يتحوّل إلى نوع آخر من المادة، فالنار لا تصبح إطلاقاً ماءً ولا يمكن للتراب أن يصبح هواءً على الإطلاق"[3]

لكن أنكساغوراس تجاوز مذهب العناصر، ورفض نهائيّاً إمكانيّة إرجاع الموجودات كافة إلى عنصر واحد أو عدّة عناصر.

وعليه، لم يسع أنكساغوراس إلى النسْجِ على منوال الفلاسفة السابقين عليه في فهم المادة؛ بل كان له تصوره الجديد المبتكر، إذ ينطلق من قاعدة رئيسة موجِّهة، وهي: "لا شيء يولد أو يفنى، وإنما هناك مجرد تمازج وتفارق بين أشياء كائنة"[4].

يُلحظ أنَّ الاستناد إلى هذه القاعدة يؤول بـ"أنكساغوراس" إلى الاعتقاد بسرمديّة المادة، أي أنها أزليّة أبديّة، لكنها سرمديّة مع صورها الكليّة أيضاً، أي أنَّ الوجود الماديّ في عمقه الجوهريّ، وكما يتجلّى ظاهرياً لا يعدو أن يكون ما هو عليه، بمعنى: أنَّ الأساس الحقيقيّ للوجود غير قابل للولادة والفناء، أو للكون والفساد، لكن إذا كان جوهر الوجود ثابتاً فكيف يمكن تفسير التغيُّر؟

---

[2]–ستيس، ولتر، تاريخ الفلسفة اليونانية، ترجمة: مجاهد عبد المنعم مجاهد، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1984، 78.

[3]–المرجع نفسه، الموضع نفسه.

[4]–أنكساغوراس، الشذرة 17 (بحسب ترتيب ديلز: القبسقراطيون)، نقلاً عن: برهييه، إميل،تاريخ الفلسفة اليونانية، ج1، ترجمة: جورج طرابيشي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط2، 1987، ص:93.

يثير هذا السؤال صعوبةً بحثيّة تتعلّق بأنّه إذا كانت المادة سرمديّة في عُمقها وغير قابلة للإحداث أو الإعدام، فكيف يمكن تفسير التغيُّر أو الصيرورة، فالعالم مليء بكائنات لا تتوقف عن الظهور والاختفاء أو التكوّن والزوال، إنّ هذا التناقض بين باطن ثابت وظاهر متحوّل كان شغل أنكساغوراس الشاغل؛ فالجوهر خالد بصوره الكليّة، لكن الأفرادَ زائلون! أو بعبارة أخرى الصور النوعيّة باقية، غير أنّ الأفراد فانية!

ثانياً قِدَمُ العالم عند أنكساغوراس :

إنَّ اكتشاف أنكساغوراس لهذه لإشكاليّة أي قِدَم العالم يفتح آفاقاً واسعة لإعادة النظر في فلسفته من منظور جديد يجعله مؤسِّساً للمشكلات الكبرى في الفلسفة اليونانيّة ستبلغ فيما بعد ذروتها القصوى مع أرسطو، تحديداً في القضايا التي أثارها عن قِدَم العالم.

إذ إنَّ اعتقاد أنكساغوراس بقدم مادة العالم يعني أنه فهم العالم بوصفه ما هو عليه بصفته الواقع النهائيّ، إنّه واقع يتألف من مادة ثابتة تأخذ أشكالاً معينة تظهر ثم تأتي أشكال أخرى غيرها، وكأنَّ أنكساغوراس هنا يرهص بنظرية خلق مستمر للعالم، لكنه خلق تقوم به المادة التي ينظمها النوس.

لقد حاول أنكساغوراس أن يحل مشكلة الثابت والمتحوّل على المستوى الأنطولوجيّ، لذلك "نادى بوجهة النظر القائلة بأنَّ المادة ما هي إلا سلسلة متعاقبة من عناصر متداخلة قابلة للانقسام إلى ما لا نهاية، ومع ذلك، فأيّاً كانت الأجزاء التي يمكن أن تُجزَّأ إليها، فإنَّ كلّ جزء منها سيحتوي على عناصر كل شيء آخر"[5].

إنَّ فكرة كون المادة عناصر متداخلة، لا تعني أنَّ أنكساغوراس كان من الفلاسفة الذريين، إذ يذهب ولتر ستيس تمثيلاً لا حصراً، إلى أنَّ "أساس فلسفة أنكساجوراس هو أساس فلسفة أمبيدوكليس والذريين نفسه "[6]

لكن يُلحظ أنَّ هناك فرقاً شاسعاً بين أنكساغوراس والذريين، ذلك أنَّ الذريين في معرض تفسيرهم للعلاقة بين أصل الوجود وظواهره قالوا بأجزاء لا تتجزأ، وهذه الأجزاء التي لا تتجزأ هي ما يسمّى باسم الذرات أو الأجزاء التي لا تتجزأ أو الجواهر الفردة"[7].

وهذا يعني أنَّ الذريين فكروا على طريقة الأيونيين أنفسهم، بمحاولتهم إرجاع الموجودات إلى عناصر رئيسة مثلما أرجعها أمباذقليس إلى عناصر أربعة، إذ أرجعها

---

[5]–وورنر، فلاسفة الإغريق، مرجع سابق، ص:44.

[6]–ستيس، تاريخ الفلسفة اليونانية، مرجع سابق، ص:88.

[7]–بدوي، عبد الرحمن، ربيع الفكر اليوناني، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط3، دون تاريخ، ص: 152.

الذريون أيضاً إلى عناصر، لكن وسعوها أكثر وأضافوا إليها خصائص محددة، فهمّشوا بذلك التجليات الظاهريّة الحسيّة، واختزلوها إلى علاقات معيّنة بين الذرات.

أما أنكساغوراس فلم يقم بهذا النوع من الإرجاع أو الاختزال، إذ إنه لم يُرجع الموجودات إلى جزيئات مناظرة للجواهر الفردة أو الذرات عند الذريين؛ بل أكّد أنَّ كلَّ جُزيء منها يحتوي على صفات من الجزيئات الأخرى كافةً. "ومن ثم، يمكن القول، إنّ الخلاف، مثلاً، بين النار والطين أو قطعة من الذهب أو حبة من حنطة، مرده فحسب إلى حقيقة أن في النار مزيداً في النار عما هو موجود في الطين، وأنَّ في الذهب مزيداُ من ذهب عما هو موجود في الحنطة، ومع ذلك فهناك جانب من النار في الطين، وجانب من الطين في النار، وجانب من الحنطة في الذهب، وجانب من الذهب في الحنطة"[8].

يقتضي هذا النوع من الفهم ضرباً من تأكيد أصالة الوجود المحسوس في مقابل الذريين الذين قالوا بأصالة الماهية، أي الذرات. وليس مستغرباً الاتجاه إلى هذا النوع من التأويل لفلسفة أنكساغوراس، إذ من الواضح أنه لم يُفرّغ الوجود الحسيّ من مضمونه كما فعل الذريون، بل أبقى على أصالته من حيث إنه أبقى على صفات الأشياء داخل الجزيئات نفسها، بينما أرجع الذريون صفات الأشياء ليس إلى الذرات أنفسها بصفتها المكوّنات الرئيسة للأشياء، بل إلى العلاقات التي تقوم بينها في عملية تكوين الأشياء، إذ في نظر الذريين "لما كانت الجزيئات القصوى النهائية للأشياء لا صفات لها، فإنَّ الصفات الفعليّة للأشياء يجب أن ترجع إلى ترتيب الذرات ووضعها. وهذا هو التطور المنطقي للنزعة الآلية عند أمبيدوكليس"[9].

لكن أنكساغوراس انطلق من فكرة مختلفة تماماً، ذلك أنه ذهب كما يؤكد ديوجينيس اللائرتي إلى أنّه كما "أنَّ الذهب يتكوّن من جزيئات دقيقة تعرف باسم غبار الذهب، كذلك يتألف الكون بأسره من أجسام دقيقة من الجزيئات المتجانسة"[10].

ولا يُعدّ تشبيه أنكساغوراس الجزيئات المتجانسة بغبار الذهب تشبيهاً عبثيّاً، إذ كما أنَّ هناك ترابطاً عميقاً، جوهراً ومظهراً، بين الذهب وغبار الذهب، كذلك يوجد ترابط عميق بين الموجودات والجزيئات المتجانسة، أي أنّ أنكساغوراس لم يفصل بين الوجود

---

[8]– وورنر، فلاسفة الإغريق، مرجع سابق، 44.

[9]–ستيس، تاريخ الفلسفة اليونانية، مرجع سابق، ص:83.

[10]–اللائرتي، ديوجينيس، حياة مشاهير الفلاسفة،مج1، ترجمة وتقديم: إمام عبد الفتاح إمام، راجعه على الأصل اليوناني: محمد حمدي إبراهيم، المجلس الأعلى للثقافة القاهرة، 2006، ص:132.

والماهيّـة، أو بـالأحرى لـم يفـرّق بينهمـا علـى مسـتوى فهمـه الأنطولـوجيّ، ونعنـي بالأنطولوجيا هنا البحث عن العلل النهائية للأشياء؛ لكن أيمكن أن يختلف الأمر على مستوى ابتكاره لفكرة النوس أو العقل للمرة الأولى في تاريخ الفلسفة اليونانية؟

ثالثاً: النوس بصفته منظِّماً للعالم :

يوجد رأي مفاده أنَّ أنكساغوراس كان يقول: إنَّ الجزيئات المتجانسة أو الطبائع كانت مختلطة، بمعنى أنَّ: "الطبائع قديمة ولكنها ليست متحركة بذاتها، وليس لها ما يجعلها تنتظم من تلقاء نفسها، وقد كانت في الأصل مختلطة أشد الاختلاط، وكان المزاج الأول متساوياً غاية التساوي لا يمتاز فيه شيء من شيء على ما ارتأى أنكسيمندريس حين وضع اللامتناهي ثم حدثت بفعل فاعل الحركة التي ميزتها ونظمتها"[11].

لكن أيمكن أن يكون هذا الفهم للجزيئات المتجانسة أو الطبائع أو البذور* بأنها ليست متحركة بذاتها ومختلطة غير دقيق؟

إنَّ كون الجزيئات المتجانسة قديمة وفي الوقت نفسه مختلطة أو غير منظمة يعني الوقوع في تناقض كبير! فكيف يمكن تفسير أنها على الرغم من أزليتها انتقلت من الاختلاط إلى النظام؟ لذلك هذا يعني أنها خضعت في الزمان لعمليّة انتقال من الفوضى إلى النظام، وهذا احتمال تفسيريّ ضعيف جرى المؤرخون للفلسفة اليونانية على اعتماده في تقديم فلسفة أنكساغوراس، ولا يكفي هنا الاستناد إلى رأي أورده ديوجينيس اللائرتي عن فلسفة أنكساغوراس مفاده أنَّ "جميع الكائنات كانت مختلطة في كيان واحد، ثم جاء العقل ونظّمها ورتّبها"[12].

والحقيقة أنّ وجه المفارقة هنا يظهر في أنَّ عملية الانتقال من الفوضى إلى التنظيم تتناقض مع فكرة قِدَم الجزيئات المتجانسة أو الطبائع التي تعني أساساً قدم العالم، لذلك لا يمكن التسليم هنا بهذه المسألة دون معالجتها معالجةً وافية.

يرجع إلى أرسطو في الحقيقة هذا الرأي الذي يقول إنَّ أنكساغوراس أكّد أنَّ العقل هو الذي نقل الكيان الواحد المختلط للكائنات إلى النظام، ففسّر هذه العمليّة وكأنّها خلل منطقيّ في طريقة تفكيره. إذ سعى أرسطو إلى إثبات أنَّ أنكساغوراس "يقول كلّ شيء مختلط ما عدا العقل، فهو وحده الذي لم يختلط بشيء آخر وظلّ نقيّاً. وينتج من ذلك إذن أنَّ المبادئ هي الواحد، (لأنه بسيط وغير مختلط)– وأن يفترض أن الآخر هو من

[11]- كرم، يوسف، تاريخ الفلسفة اليونانية، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2014، ص:58.

*تدل هذه التسميات المترادفة على شيء واحد عند أنكساغوراس.

[12]–ديوجينيس اللائرتي، حياة مشاهير الفلاسفة، المجلد الأول، مرجع سابق، ص: 131.

تلك الطبيعة التي نفترض أن غير المتعيّن كان عليها قبل أن يتعيّن له صورة. ومن ثم فإنّ أنكساجوراس لم يعبر عن نفسه لا على النحو الصحيح، ولا على نحو واضح"[13].

ويلحظ أنَّ رأي أرسطو كان قد جاء في مكانه لو أنَّ أنكساغوراس كان يقصد بالاختلاط عدم التعيُّن! لكن أيمكن أن يكون أنكساغوراس قد قصد من الاختلاط معنى مختلفاً تماماً عمّا ذكره أرسطو الذي أثّر سلباً فيما بعد في فهم معظم مؤرخي الفلسفة اليونانيّة للفلسفة أنكساغوراس؟ لأنَّ التسليم بأنَّ الطبائع أو الجزيئات المتجانسة قديمة وكانت مختلطة أو غير متعينة ثم جاء العقل فنقلها إلى النظام ،والتعيُّن يعني أنَّ العالم قديم من حيث مادته ومحدث من حيث صورته! وهذا يدل على أنَّ أنكساغوراس هو من أوحى إلى أفلاطون بفكرة الصانع الذي نقل المادة من اللاتعيّن إلى التعيّن.

لكن يمكن أن يكون معنى الاختلاط عند أنكساغوراس أكثر عمقاً مما توقّع أرسطو أي أنه ليس عدم تعيّن؛ بل يعني أنَّ الموجودات مختلطة بسبب سريان الجزيئات المتجانسة فيها كلّها، إذ إنَّ أيّ جزيء منها يحوي في داخله قبساً من جميع الأشياء، وهذا هو معنى الاختلاط، ولا يعني أبداً عدم التعيُّن؛ وابتكر أنكساغوراس مصطلح الاختلاط من أجل هدف بعيد المرمى عنده هو أن يضع في مقابل الاختلاط النقاء، أي نقاء العقل، ويعني بذلك أنَّ العقل لا يخالط الأشياء، إذ "لو أنَّ الأشياء كانت ممتزجة معه، لحالت دون سيطرته عليها على عكس ما يقوم به الآن وهو قائم بذاته ومفارق لها. ذلك لأنَّ العقل ألطف الأشياء وأصفاها، وله معرفة تامة بكلّ شيء وقدرة على كلّ شيء، وهو يسيطر على كل الكائنات الحية الصغيرة منها والكبيرة"[14].

يمكن على هذا الأساس استنتاج أنَّ النوس أو العقل في منظور أنكساغوراس يُعدُّ جوهراً مفارقاً غير مخالط للمادة، ويجب أن نفهم معنى "المفارق" هنا على أنّه المحض أو البحت الذي لا يخالط أيّ شيء آخر، لذلك العالم منذ الأزل منظّم بوساطة العقل وهو لم يخضع لعمليّة تنظيم جرت في الزمان، على عكس الآراء الشائعة.

وعليه، يمكن حسبان أنكساغوراس أول فيلسوف يونانيّ يقوم بتقسيم الوجود إلى معقول ومحسوس، والحقيقة أنَّ نظرته إلى الاثنينيّة إلى الوجود تُعدّ أكثر عمقاً من نظرة

---

[13]– أرسطو، الميتافيزيقا، الكتاب الأول، الفصل الثامن،989أ، س39، في: إمام، عبد الفتاح إمام، مدخل إلى الميتافيزيقا، مع ترجمة للكتب الخمسة الأولى من ميتافيزيقا أرسطو، نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، 2005، (=ص:275).

[14]–متى، كريم، الفلسفة اليونانية في عصورها الأولى: بحث في الأصول الدينية للفلسفة اليونانية في القرنين السادس والخامس قبل الميلاد، مطبعة الإرشاد بغداد، 1965، ص:66.

كلّ من برمنيدس Parmenides وهيرقليطس Heraclitus، لذلك يمكن إرجاع فكرة أنَّ الوجود معقول ومحسوس إلى أنكساغوراس أكثر من إرجاعها إلى برمنيدس وهيرقليطس في أُفق توظيف أفلاطون لفلسفة هذين الأخيرين من أجل أن يقوم بتقسيم الوجود إلى عالم المثل الثابت وعالم التغيّر والصيرورة وفقاً للرأي الشائع بين مؤرخي الفلسفة اليونانيّة، إذ يشير محمد علي أبو ريان مثلاً إلى ذلك بقوله: "اتجه أفلاطون إلى التوفيق بين هرقليطس وبارمنيدس في ربطه للعالم المحسوس بالعالم المعقول"[15]، لذلك يمكن القول: إنَّ تأثير أنكساغوراس كان هو الحاسم في فهم أفلاطون للوجود ،وتقسيمه إلى معقول ومحسوس، وليس تأثير برمنيدس وهرقليطس.

ويمكن تبيان اطّلاع أفلاطون على فلسفة أنكساغوراس على أساس محاورات أفلاطون نفسها، إذ يقول أفلاطون:"...سمعتُ بعدئذٍ شخصاً ما قارئاً من كتاب لأنكساغوراس يقول فيه إنَّ العقل هو منظم الجميع وابتهجتُ بهذه الفكرة التي بدت رائعة تماماً، وقلتُ لنفسي إذا كان العقلُ هو المنظّم، فإنّه سينظمها كلّها للأفضل".[16]

لكن على الرغم من اعتراف أفلاطون نفسه بأنّه اطلع على فكرة العقل بصفته منظّماً لـ"الجميع" عند أنكساغوراس، إلا أنّه لم يعترف بقصب السبق له فيما يتعلّق بأنّه قسّم الوجود إلى معقول ومحسوس، وجعل الأولويّة للعقل على المادة؛ ذلك أنَّ أفلاطون نفسه يقول عن أنكساغوراس إنّه: " تخلى عن العقل ونبذه في كلّ ما الكلمة من معنى ولم يحتكم إلى أيّ مبدأ آخر للنظام؛ بل التجأ إلى الهواء والأثير والماء والعديد من الشواذات الأخرى"[17].

والحقيقة أنَّ كلام أفلاطون هنا مردود، إذ كيف ينبذ أنكساغوراس العقل، وهو الذي رسّخه بصفته مبدأ منظِّماً للعالم؟! يبدو أن أفلاطون لم يرد أن يعترف بفضل سلفه الكبير، لأنَّ مثل هذا الاعتراف يمكن أن يجعل فلسفة أفلاطون مبنيّة أساساً على فلسفة أنكساغوراس، وهذا الأمر لا يمكن التحقق منه على نحوٍ دقيق بسبب قلّة الشذرات التي وصلتنا من أنكساغوراس، علماً أنَّ أفلاطون نفسه يذكر في محاورة فيدون أنه قرأ عدّة

[15]– أبو ريان، محمد علي، تاريخ الفكر الفلسفي من طاليس إلى أفلاطون، الجزء الأول، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1984، ص: 220.

[16]– أفلاطون، محاورة فيدون، في: أفلاطون (المحاورات الكاملة)، المجلد الثالث، نقلها إلى العربية: شوقي داود تمراز، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، 1994، ص: 426.

[17]– أفلاطون، محاورة فيدون، المعطيات السابقة نفسها، ص: 427.

كتب لأنكساغوراس، ما يعني أنَّ هذه الكتب مفقودة[18]، ما يثير تساؤلاً كبيراً بصدد مصادر فلسفة أفلاطون. لكن الممكن تأكيده هو أنَّ لأنكساغوراس قصب السبق في تقسيم الوجود إلى معقول ومحسوس، وهذا ما يشكّل أساس نظرة أفلاطون الفلسفيّة، ما يفتح مجالاً واسعاً لاتجاه الأبحاث نحو تبيان تأثير فلسفة أنكساغوراس في فلسفة أفلاطون.

نتائج البحث:

انتهى البحث إلى جملة من النتائج يمكن إجمالها وفق الآتي:

أولاً: تجاوز أنكساغوراس مذهب العناصر عند الأيونيين وأمباذقليس، ولا يمكن تفسير فلسفته على أنها فلسفة تماثل فلسفة الذريين كديمقريطس ولوقيبوس، وهذا يعني أنّه اتجه اتجاهاً جديداً في تفسير الكثرة، فلم يرجعها إلى مادة معيّنة أو عدة مواد ولا إلى جواهر فردة أو ذرات. وهذا يدل على أنّه حافظ على أصالة الوجود في مقابل تأسيس الطبيعيين والذريين للإرهاصات الأولى لفكرة الماهية.

ثانياً: لا يعني قول أنكساغوراس بالنوس أو العقل أنّه قال بأصالة الماهيّة على حساب أصالة الوجود؛ بل يعني أنَّ العلاقة بين العقل والمادة هي علاقة أساسيّة في حقيقتها ولا يمكن إعطاء الأولوية لأحدهما على الآخر.

ثالثاً: إنَّ القاعدة التي انطلق منها أنكساغوراس والتي تقول: "لا شيء يولد أو يفنى، وإنما هناك مجرد تمازج وتفارق بين أشياء كائنة"، تعني على وجه التحديد أنَّ هذا الفيلسوف أدرك –بما لا يدع مجالاً للشك–أنَّ العالم قديم.

رابعاً: يُرجّح أنَّ أنكساغوراس قد فهم عملية تنظيم العقل للجزيئات المتجانسة المكوِّنة للعالم على أنّها عمليّة ميتافيزيقية وليست عمليّة فيزيقيّة تجري في الزمان بدلالة أنّه أكّد أنَّ العقل أو النوس بريء من الاختلاط بالمادة أو من أن يكون مشوباً بأيّ شائبة حسيّة، بمعنى أن تنظيم العقل للعالم عمليّة ميتافيزيقيّة ينبغي أن تُفهم كما تُفهم عمليّة فيض أو صدور الكثرة عن الواحد في الأفلاطونيّة المُحْدَثة.

خامساً: إنَّ النقد الذي وجّهه أرسطو لأنكساغوراس بصدد أنّه لم يكن واضحاً في فهم العلاقة بين النوس والمادة المختلطة يُعَدُّ غير دقيق، لأنَّ أنكساغوراس فهم هذه المسألة ميتافيزيقيّاً ولم يفهمها وكأنّه فيلسوف من الفلاسفة الطبيعيين، وهذا النقد نفسه الذي وجّهه أرسطو يمكن أن ينطبق على فكرة المحرك الأوّل اللامتحرّك عنده، فكيف نقل هذا

[18]– يقول أفلاطون عن كتب أنكساغوراس: "التقطت الكتب، وبدأت قراءتها بأقصى سرعة أقدر عليها من شوقي لمعرفة الأفضل والأسوأ...." "أفلاطون، محاورة فيدون، المعطيات السابقة نفسها، ص: 426.

المحرك الكائنات من اللاحركة إلى الحركة؟ هنا استعار أرسطو نفسه رأي أنكساغوراس حينما أكد أنَّ المحرك الأول اللامتحرك بريء من المادة ويحرك الموجودات حركة عشقيّة منذ الأزل.

والحقيقة أنَّ هذه المنهجيّة الأرسطية يُمكن إرجاع أصولها إلى أنكساغوراس، وكذلك الأمر بالنسبة لأفلاطون الذي لم يعطِ القيمة المستحقة لفكرة العقل عند أنكساغوراس، واتهمه – من دون دليل واضح– أنّه رجع إلى طريقة تفكير الفلاسفة الطبيعيين.

المراجع:

1. أرسطو، الميتافيزيقا، الكتاب الأول، الفصل الثامن، 989أ، س39، في: إمام، عبد الفتاح إمام، مدخل إلى الميتافيزيقا، مع ترجمة للكتب الخمسة الأولى من ميتافيزيقا أرسطو، نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، 2005.
2. أبو ريان، محمد علي، تاريخ الفكر الفلسفي من طاليس إلى أفلاطون، الجزء الأول، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1984.
3. أفلاطون، محاورة فيدون، في: أفلاطون (المحاورات الكاملة)، المجلد الثالث، نقلها إلى العربية: شوقي داود تمراز، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، 1994.
4. اللائرتي، ديوجينيس، حياة مشاهير الفلاسفة، مج1، ترجمة وتقديم: إمام عبد الفتاح إمام، راجعه على الأصل اليوناني: محمد حمدي إبراهيم، المجلس الأعلى للثقافة القاهرة، 2006.
5. بدوي، عبد الرحمن، ربيع الفكر اليوناني، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط3، دون تاريخ.
6. برهييه، إميل، تاريخ الفلسفة اليونانية، ج1، ترجمة: جورج طرابيشي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط2، 1987.
7. ستيس، ولتر، تاريخ الفلسفة اليونانية، ترجمة: مجاهد عبد المنعم مجاهد، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1984.
8. كرم، يوسف، تاريخ الفلسفة اليونانية، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2014.
9. متى، كريم، الفلسفة اليونانية في عصورها الأولى: بحث في الأصول الدينية للفلسفة اليونانية في القرنين السادس والخامس قبل الميلاد، مطبعة الإرشاد بغداد، 1965.
10. وورنر، ريكس، فلاسفة الإغريق، ترجمة: عبد الحليم سليم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1985.